**المحاضرة رقم 04**

* 1. **الانثروبولوجيا في عصر النهضة الأوروبية:**

بدأ عصر النهضة في أوربا في نهاية القرن ال ا ربع عشر الميلادي (**14**) حيث شرع الأوربيون بعملية دراسة انتقائية للعلوم والمعارف الإغريقية والعربية، مترافقة بحركة ريادية نشطة للاستكشافات الجغرافية. وتبع ذلك الانتقال من المنهج الفلسفي إلى المنهج العلمي التجريبي في دراسة الظواهر الطبيعية والاجتماعية، والذي تبلور وتكامل في القرن السابع عشر (**17**) إن هذه التغيرات مجتمعة أدت إلى ترسيخ عصر النهضة (التنوير) واسهمت بالتالي في بلورة الأنثروبولوجيا في نهاية القرن التاسع عشر (**19**) كعلم، يدرس تطور الحضارة البشرية في اطارها العام وعبر التاريخ الإنساني، الأمر الذي استلزم توافر الموضوعات الوصفية عن ثقافات الشعوب وحضاراتها، في أوروبا وخارجها، من أجل المقارنات والتعرف إلى أساليب حياة هذه الشعوب وترتيبها بحسب مراحل تطورية معينة، بحيث يضع ذلك أساسا لنشأة علم الانثروبولوجيا.

أهم مرحلة استكشافية أثرت في علم الانثروبولوجيا الرحلة التي قام بها كريستوف كولومبوس إلى القارة الامريكية ما بين (**1502** -**1492** ) حيث زخرت مذكراته عن مشاهداته واحتكاكاته بسكان العالم الجديد، بالكثير من المعلومات والمعارف عن أساليب حياة تلك الشعوب وعاداتها وتقاليدها، اتسمت بالموضوعية نتيجة للمشاهدة المباشرة. وكتب في وصفه لسكان امريكا الأصليين:

"إنهم يتمتعون بحسن الخلق والخلق، وقوة البنية الجسدية، كما أنهم يشعرون بحرية التصرف فيما يمتلكون إلى حد أنهم لا يترددون في إعطاء من يقصدهم أيا من ممتلكاتهم، علاوة عله أنهم يتقاسمون ما عندهم برضا وسرور[[1]](#footnote-1).

وتميز عصر النهضة الأوروبية بظاهرة كان لها تأثير في توليد نظريات جديدة عن العالم والإنسان وهي أن المفكرين اتفقوا عله الرغم من تباين وجهات نظرهم عله مناهضة فلسفة العصور الوسطى اللاهوتية، التي أعاقت فضول العقل الإنساني إلى معرفة أصول الأشياء ومصادرها وتكوين الطبيعة وقوانينها وصفات الإنسان الجسدية والعقلية والأخلاقية[[2]](#footnote-2).

وظهر نتيجة لهذا الموقف الجديد اتجاه لدراسة الإنسان عرف بالمذهب الإنساني (العلمي) اقتضه دراسة الماضي من أجل فهم الحاضر، حيث اتجهت دراسة الطبيعة الإنسانية وفهم ماهيتها وأبعادها وفق المراحل التاريخية(التطورية للإنسان).

وقد تبلور هذا الاتجاه (المذهب) العلمي في الدراسات التجريبية والرياضية التي ظهرت في أعمال بعض علماء القرن **17** من امثال فرانسيس بيكون ورينيه ديكارت واسحاق نيوتن وغيرهم، حيث أصبحت النظرة الجديدة للإنسان عله أنه ظاهرة طبيعية ويمكن دراسته من خلال البحث العلمي، والمنهج التجريبي، وهذا ما ساهم في تشكيل المنطلقات النظرية للفكر الاجتماعي.

وقد ظهر عالم الاجتماع الفرنسي ميشيل دومونتان والذي أجرى مقابلات مع مجموعات من السكان الأصليين في أمريكا المكتشفة، والذين أحضرهم بعض المكتشفين إلى أوروبا، وبعد أن جمع منهم المعلومات عن العادات والتقاليد السائدة في موطنهم الأصلي، خرج بالمقولة التالية:

**"**إنه لكي يفهم العالم فهما جيدا، لا بد من دراسة التنوع الحضاري للمجتمعات البشرية واستقصاء أسباب هذا التنوع"[[3]](#footnote-3).

وعليه فقد أرسى ابن خلدون الأسس المنهجية لدراسة المجتمعات البشرية، ودورة الحضارات التي تمر بها. ويرى بعض علماء الأنثروبولوجيا البريطانيون أن في مقدمة ابن خلدون بعضا من موضوعات الانثروبولوجيا الاجتماعية ومناهجها.

ومنه يمكن القول إن الفلاسفة والمفكرين العرب المسلمين أسهموا بفاعلية خلال العصور الوسطى - في معالجة كثير من الظواهر الاجتماعية التي يمكن أن تدخل في الاهتمامات الأنثروبولوجية ولاسيما التنوع الثقافي الحضاري بين الشعوب سواء بدراسة خصائص الثقافة أو حضارة بذاتها، أو بمقارنتها مع ثقافة أخرى. ولكن عله اعتبارها مصادر للمادة " الاثنوجرافية التي درست (أسلوب الحياة في مجتمع معين وخلال فترة زمنية محددة)

ولا سيما العادات والقيم وأنماط الحياة، فإن الأنثروبولوجيا التي تبلورت في أواخر القرن التاسع عشر (**19**) كعلم جديد معترف به، لم تكن ذات صلة تذكر بهذه الدراسات، ولا بغيرها من الدراسات (اليونانية والرومانية) القديمة.

* 1. **الانثروبولوجيا في العصر الحديث:**

ظهرت الأنثروبولوجيا الحديثة في القرن التاسع عشر جنباً إلى جنب مع التطور والقبول العلمي لنظريات التطور البيولوجي والثقافي. في أوائل القرن التاسع عشر، أثبت بعض العلماء من خلال الملاحظات العلمية، لاسيما عن العظام المكتشفة وغيرها من البقايا مثل الأدوات الحجرية، أن ماضي البشرية غطى فترة زمنية أطول بكثير مما كان يروّج له. وفي عام **1836**م اقترح عالم الآثار الدنماركي كريستيان تومسن ما عرف بنظام العصور الثلاثة التي أطلق عليها اسم العصر الحجري، والعصر البرونزي، والعصر الحديدي. يتلاءم مفهوم تومسن عن العصور التكنولوجية بشكل جيد مع آراء عالم الجيولوجيا الأسكتلندي السير تشارلز ليل، الذي اقترح أن الأرض أقدم بكثير مما كان يعتقد سابقاً وقد تغيرت خلال عدد كبير من المراحل التدريجية.

وفي عام **1859**م نشر عالم الطبيعة البريطاني تشارلز داروين كتابه عن أصل الأنواع، الذي جادل فيه بأن الأنواع الحيوانية والنباتية تغيرت أو تطورت عبر الزمن تحت تأثير عملية أطلق عليها الانتقاء الطبيعي. وقد تعرضت النظرية والكتاب لكثير من الجدل لا يزال محتدماً حته عصرنا هذا. وخلال أواخر القرن التاسع عشر، روّج العديد من علماء الأنثروبولوجيا لنماذجهم الخاصة للتطور الاجتماعي والبيولوجي. وصوّرت كتاباتهم الأشخاص المتحدرين من أصل أوروبي عله أنهم متفوقون بيولوجياً وثقافياً عله جميع الشعوب الأخرى. وظهرت وجهة النظر هذه في كتاب “المجتمع القديم”، الذي نشره عالم الأنثروبولوجيا الأمريكي لويس هنري مورغان عام **1877**، وفي كتابات السير إدوارد تايلور، مؤسس الأنثروبولوجيا البريطانية، الذي روّج لنظريات التطور الثقافي في أواخر القرن التاسع عشر. وقد كتب تايلور أيضاً تعريفاً للثقافة لا يزال مقتبساً عله نطاق واسع، واصفاً إياها بأنها “ذلك الكل المعقد الذي يشمل المعرفة، والمعتقدات، والفن، والأخلاق، والقانون، والعرف وأي قدرات وعادات أخرى يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع”. وقد شكّل هذا التعريف أساس المفهوم الأنثروبولوجي الحديث للثقافة.

في عشرينيات القرن الماضي ظهرت الأنثروبولوجيا كنظام مهني وعلمي جاد. وتطورت ممارسات البحث الأنثروبولوجي بطرق مختلفة في الولايات المتحدة وأوروبا. وفي ثلاثينيات القرن الماضي، اتخذت الأنثروبولوجيا شكلها الحالي كمهنة أكاديمية في الولايات المتحدة تحت تأثير عالم الأنثروبولوجيا فرانز بواس، الذي ساعد عله تدريب العديد من أبرز علماء الأنثروبولوجيا الأمريكيين في القرن العشرين، وواصل العديد من طلبته – بمن فيهم ألفريد كروبر وروث بنديكت ومارغريت ميد – إنشاء أقسام للأنثروبولوجيا في الجامعات في جميع أنحاء البلاد.

خلال النصف الأول من القرن العشرين، أجرى العديد من علماء الأنثروبولوجيا دراسات إثنوغرافية في خدمة الحكومات الاستعمارية. سمحت هذه البحوث للمستعمرين بالتنبؤ بما سيحدث لمجتمع بكامله استجابة لسياسات استعمارية معينة. وخلال تلك الفترة ولاسيما في الستينيات، تم تطوير العديد من الأفكار النظرية في الأنثروبولوجيا مثل البنيوية والمادية الثقافية والبيئة الثقافية. وعله النقيض، وخلال سبعينيات القرن الماضي، ركز علماء الأنثروبولوجيا عله معاني رموز وطقوس ثقافية معينة داخل الثقافات نفسها، وهو نهج يُعرف باسم الأنثروبولوجيا الرمزية.

بذلك يتضح لنا أن الحقول الفرعية للأنثروبولوجيا ظهرت في البداية في المجتمع الغربي في محاولة لفهم الشعوب غير الغربية. وعندما بدأ الأوروبيون استكشاف العالم واستعماره في القرن الخامس عشر، واجهوا شعوباً أصلية في الأمريكتين وأفريقيا والشرق الأوسط وآسيا. ووصف المسافرون الأوروبيون والمسؤولون الحكوميون هذه الثقافات غير الغربية، وقدّموا سجلاً لمظاهرها الجسدية وعاداتها ومعتقداتها. وبحلول القرن التاسع عشر، تطورت الأنثروبولوجيا إلى التخصص الأساسي لفهم المجتمعات والثقافات غير الغربية، حيث سعه العلماء آنذاك بشكل عام إلى فهم الاختلافات الأساسية والتشابهات بين المجتمعات والثقافات البشرية والتنوع المادي الموجود في الشعوب في جميع أنحاء العالم.

وحاليا، لا يركز علماء الأنثروبولوجيا اهتمامهم فقط عله الثقافات غير الغربية بل يتعدونها إلى دراسة الممارسات الثقافية في البيئة الحضرية في كل مكان

1. - عيسى الشماس ، **مرجع سابق،** ص 26. [↑](#footnote-ref-1)
2. - **نفس المرجع ،** ص 26. [↑](#footnote-ref-2)
3. - عيسى الشماس ، **مرجع سابق،** ص 28. [↑](#footnote-ref-3)